فقال الله عز وجل فانها
قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي الآية
محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب الله عليهم التيه ندم موسى واتاه قومه الذين
كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى
والبقول والتقى موسى وعوج فوثب موسى في السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان
طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله قال الكلبي ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه
لم يجزع بنو اسرائيل لانه كان من اعظم الجبابرة وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع
قال وان اهل العلم باخبار الاولين مجمعون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبابرة بالدعاء على موسى
لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا على موسى ودعا ربه فنعته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى
وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل
لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج ويجوز ان يكون
خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل دأبهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل
واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في
قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني آدم من الذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه
وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في آخر الآية فبعث
الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب اي اخبرهم خبرا ملتبسا
بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما تقدم في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر
وهو ذم الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قربا قربانا
القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به ذكر
قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حواء كانت تلد
في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوأمته اقليما
واخرهم عبد المغيث وتوأمته ام المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ
ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما
الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال
محمد بن اسحاق عن بعض اهل الكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت
بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولا دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها
فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم اذا كبر اولاده زوج غلام هذا
البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اي اخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ
نساء الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوج قابيل
لبودا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من لبودا فذكر ذلك آدم لهما
فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال ابوه
آدم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا
له قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء
فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكل الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان
قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء واضمر في نفسه لا ابالي ايقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احد
غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضى الله فوضع قربانهما
على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى فتقبل

من احدهما

من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه
الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم واتى قابيل هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال
هابيل ولم تقتلني قال قابيل ان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة
فيتحدث الناس بانك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي قال انما يتقبل الله من المتقين
يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان اكل القربان مقبولا دون الآخر لان التقوى من اعمال
القلوب وكان قد اضمر في نفسه الحسد لاخيه على تقبل قربانه فتوعده بالقتل وقال انما اوتيت من قبل نفسك
لا نسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجاب بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي
صلى الله عليه وسلم فكان تعليما للنبي صلى الله عليه وسلم ان قابيل لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما
يتقبل الله من المتقين ثم قال النبي احبار اعن هابيل لئن بسطت الي يدك يعني لئن مددت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما
كنت لاحبسك بالقتل وذلك ان الله فرض عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان فرض عليهم
اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج
من قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله اني اخاف الله رب العالمين والمعنى اني اخاف في بسط يدي اليك
ان بسطت لاقتلك ان يعاقبني على ذلك قوله عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يعني ترجع باثم قتلي
الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل اني اريد اراده القتل والمعصية من الغير لا
يجوز قلت اجاب بن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره
الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة
ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اذا قتلتني ولم يقع مني قتلك اياي
الا بقتلي اياك فحق بلزمك اثم قتلي اذا قتلتني وكان هذا اعلاما من هابيل اليه اشار الزجاج فقال معناه
ان تقتلني فانا مريد لذلك فحذف الارادة منه بشرط ان يكون قاتله والانسان انما يتمنى ان يكون الاثم ما
على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال العظيم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب باثمي واثمك فحذف
المضاف وضرب باثمك بالعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة
لكنه لما علم انه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله
مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة فتكون من اصحاب النار يعني الملازمين لها وذلك جزاء الظالمين يعني
جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه يعني زينت له وسهلت عليه
القتل وذلك ان الانسان اذا تصور قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه
فاذا اسهلته عليه نفسه هذا الفعل وفعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه
قتل اخيه فقتله قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ
طيرا فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل
بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن
عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتله
عشرين سنة وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته فاما دنياه فباسخاطه
والديه وبقي بلا اخ واما آخرته فباسخاط ربه وصار الى النار وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل فبعث
الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل
تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني آدم على وجه الارض فقصدته السباع لتاكله فحمله
قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته

Copyright ... University